صور من البلاغة السياقية في الآيات المتشابهة

Ahmed ALDYAB (*)

الملخص

لا شك أن كنوز القرآن لا تنتهي وأن بلاغته لا تنطفىء فهو كلام الحكيم العليم. ويأتي هذا البحث ليؤكد على ذلك وليرد على هؤلاء الذين يدعون التكرار في بعض الآيات القرآنية. وقد تناولت بعض الآيات المتشابهة التي اخترتها لإبراز القيمة البلاغية من خلال السياق النصي للآية.و كانت هذه الاختلافات على مستوى الكلمة والحرف والجملة، وكان السياق هو الحكم في إبراز المعنى المناسب للآية والسورة. ولم يكن التشابه تكراراً في الآيات وإنما كان مقصوداً لإبراز المعنى بشكل بلاغي. وفي الحقيقة إن التشابه بين الآيات كثير جداً في القرآن، والذي يحدد قيمة التشابه ومعانيه أشياء كثيرة، منها ما يكون السياق حكماً في ذلك ومنها ما تكون البلاغة القرآنية محدداً مهماً ومنها العناصر اللغوية بكافة عناصرها كالنحو والصرف والعناصر الصوتية وغيرها. وقد جاء هذا البحث لؤكد على دور السياق في فهم الآيات المتشابهة بعد الجدل الذي دار بين بعض الذين يشككون في بلاغة القرآن وإعجازه، فالسياق له دور كبير في كشف معنى الآية بشكلها الصحيح، فنحن لا يمكن أن نفهم الآية اعتماداً على الأقوال واللغة بمفردها، وإنما بربط أحداث الآية ببعضها من خلال السياق النصي.

الكلمات المفتاحية: *البلاغة، السياق، المتشابه، الآية.*

Öz

Şüphesiz ki kur'an, eşsiz belagatıyla bitmeyen bir hazinedir. Çünkü Kur'an hakim ve alim olan Allah'ın kelamıdır. Araştırma bu konuyu vurgulamak ve Kur'andaki sürekli tekrarların sebebini açıklamak için yazıldı. Seçtiğim bazı müteşâbih ayetlerde belagatın önemini bağlam vasıtasıyla açıklamaya çalıştım. Söz konusu farklılıklar, kelime, harf veya cümle seviyesindedir. Âyet ve surelerin münasip mânâları ise kelâmın siyakıyla ortaya çıkar. Teşâbüh, ayetlerdeki alelâde bir tekrar değildir. Bu üslupla, mânânın belâgî bir şekilde ortaya çıkması amaçlanmıştır.

Anahtar Kelimeler: *Belagat, Bağlam, Müteşabih, Ayet.*

*) Dr., Okt., Ankara Üniversitesi Arap Dili ve Belagati Anabilim Dalı
(e-posta: ahmad.adyab@gmail.com). ORCID ID: orcid.org/0000-0002-9497-9197

Importance of Contextual Rhetoric in Analogous Verses

Abstract

Undoubtedly that Qur'an is an eternal treasure with its unique rhetoric. Because Qur'an is word of Allah who is the Judge and the Knowing. This research was written to emphasize this subject and to explain reasons of regular repetitions in Qur'an. I tried to explain importance of rhetoric through context in some analogous verses which I chose.

Keywords: *Rhetoric, Context, Analogous, Verse.*

المقدمة

لقد كثرالحديث في المتشابه من آيات القرآن الكريم وجاء الاختلاف بين الآراء متمثلاً في اتجاهين، الأول: قال إن الآيات المتشابهة يوجد فيها تكرار وهم حكموا في ذلك من خلال نواح مخصوصة، فقد رأوا الآيات المتشابهة منفصلة عن سياقها النصي والبلاغي وهذا ما أوقعهم في الخطأ، فكانوا ينظرون إلى النواحي اللفظية ولا يأخذون باعتبارات البلاغة النحوية ولا الصرفية ولا البلاغة المعنوية، وأما الاتجاه الثاني فقد قال بعدم التكرار وهم حكموا في ذلك لأنهم راعوا وضع الآيات وسياقها النصي والبلاغي، وأيضاً نظروا إلى أحوال المخاطبين والمتكلمين، وهم بذلك قد نفوا التكرار ورأوا أن القرآن نسيج متكامل ووحدة عضوية كاملة لا يمكن الفصل بين آياته ولا يمكن التكرار فيه، وأن لكل آية وسورة طابعها المتميز وخصائصها الكاملة[1]، فالموضوع وإن ذكر في مكان فإنه يمكن أن يذكر ولكن يأتي مناسباً لحال المخاطبين على اختلاف أصنافهم وأحوالهم.

وقد جاء هذا البحث ليفند وينفي التكرار الذي ادعاه المذهب الأول وعرض لبعض النماذج التي تؤكد بلاغة القرآن العالية وأنه كلام الخالق العزيز الحكيم.

الآيات المتشابهة: لا نقصد هنا التشابه من حيث المعنى، أي: المحكم والمتشابه، ولكن نقصد التشابه اللفظي بين الآيات. والتشابه حاصل وواقع في القرآن كثيراً، فنرى أحياناً أن القصة الواحدة تُذكَر أحداثها في أماكن عديدة باختلاف بسيط في الكلمات والأحرف والجمل، وهذا التشابه مقصود لذاته، فهو لم يكن عبثاً أو تكراراً، بل جاء ليقوي المعنى ويؤكد على مسألة ما في الآية. وقد كان للسياق أثره في إبراز الفرق بين هذه الآيات إما بلاغياً أو على سبيل المعنى. وربما كان التشابه حاصل بين الآيتين بنسبة مئة بالمئة، حيث أننا نجد الآيتين تتحدان بكل كلماتهما، ونجد التشابه بين الآيتين

---

[1] الكرماني، محمد بن حمزة، *البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان*، حققها الطالب ناصر بن سليمان العمر، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1999، ص 43.

ربما يكون على مستوى الحرف، فكل كلمات الآيتين متشابه إلا بحرف واحد، وهكذا تتغير نسبة التشابه بين الآيتين بحسب السياق والمعنى المراد.

1- قال تعالى ﴿*ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم151* ﴾[2]

وقال تعالى ﴿*ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم31* ﴾[3] للوهلة الأولى تبدو الآيتان متشابهتان، لكن التدقيق والتمحيص يقول غير ذلك، وأن هذا التنويع في الخطاب القرآني يزيد المعنى جمالاً ويأخذ بالألباب لفهم البيان القرآني على حقيقته. فكما هو ملاحظ في الآية الأولى استخدم " من إملاق " وفي الآية الثانية " *خشية إملاق* ". ففي الآية الأولى الخطاب يفيد أن الإملاق موجود لهؤلاء الآباء وليس الإملاق متوقعاً أو سيكون في المستقبل ولذلك جاءت الآية ب" نحن نرزقكم " فقدم رزق الآباء على رزق الأولاد الذين سيولدون وهذا يعطي ضماناً للآباء وتبشيراً بانتهاء الإملاق الذي يخافون منه[4]، وبعد ذلك نرى كيف عطف رزق الأولاد على رزق الآباء. أما الآية الثانية فجاء القول من الله تعالى (*ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق*) موجهاً إلى سبب توقع الفقر من ولادة الأطفال الذين يخاف آباؤهم من الفقر المستقبلي، ولذلك جاء الخطاب القرآني ب " نحن نرزقهم " وهذا تكفل من الله عز وجل بإعالة هؤلاء الأطفال ليس هم فحسب، بل والآباء معهم، فرزق الأولاد جاء أولاً ثم عطف عليه رزق الآباء[5]، وهذه لفتة بلاغية في غاية الدهشة والروعة. فهؤلاء الآباء ظنوا أنه بدون الأولاد ستسير حياتهم كما هي ميسرة بدون عناء وتعب ولكنهم نسوا بأن حالتهم التي هم فيها من الله عز وجل ولو أراد لسلبهم هذه النعم وهذا الغنى. وهكذا تكون الآيتان قد نهت الآباء عن قتل الأولاد، واحدة لوجود الإملاق، والثانية نهت عن قتل الأبناء لمجرد توقع الفقر والخشية منه في المستقبل.

2- قوله تعالى ﴿*وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين58 فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون 59*﴾[6].

---

[2] 6. الأنعام، 151.
[3] 17. الإسراء، 31.
[4] بكري شيخ أمين، *التعبير الفني في القرآن*، دار الشروق، 1973، ص 84.
[5] الجوزية، ابن القيم، *التفسير القيم*، جمع محمد أويس الندوي، مطبعة السنة المحمدية، 1973، ص 110.
[6] 2. البقرة، 58- 59.

قوله تعالى في سورة الأعراف *﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين 161 فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون 162﴾*[7]

الآيتان في حق بني إسرائيل، وهذه الآيات تصف عناد بني إسرائيل وتكبرهم وجبروتهم في الأرض، وقد جاءت الآيتان في تشابه كبير من حيث المعنى ومن حيث الألفاظ، لكن تبقى الدقة القرآنية حاضرة في زيادة بعض الحروف أو حذفها ولننظر في ذلك. في سورة البقرة قال " وإذ قلنا " أي أسند الله تعالى القول إلى نفسه، وقال في سورة الأعراف *" وإذ قيل لهم "* ببناء الفعل للمجهول. وفي القرآن الكريم عندما ينسب الله عز وجل القول إلى نفسه فإنه يكون في مقام التشريف والتكريم والفضل[8]، والله عز وجل لا ينسب الشر والسوء إلى نفسه تنزيهاً له، وهذا يؤكده القرآن كقوله تعالى *(وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا)الجن:10* فكما هو ملاحظ أن الشر نسب للمجهول والرشد والخير نسب إلى الله عز وجل. ومثل ذلك عندما نسب سيدنا إبراهيم المرض لنفسه والخيروالفضل لله عز وجل في قوله تعالى *(الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين79 وإذا مرضت فهو يشفين 80)*[9]. فنجد كيف نسب الخير والشفاء لله عز وجل ونسب المرض لنفسه[10]، ففي الآية السابقة لم يقل " وإذا أمرضني " وكان السياق يقتضي ذلك. ولرب قائل يقول إننا نجد مثل قوله تعالى *(زينا لهم أعمالهم)* النمل:4 والتزيين كما يأتي إلى الذهان هو شيء سيء لكن هذه الآيات لم تقل " زينا لهم شر أعمالهم أو سوء أعمالهم " فعندئذ يكون السوء منسوباً لله تعالى عز وجل وحاشى ذلك. فمن هنا نرى أن الله سبحانه يذكر وينسب لذاته الخير بخلاف الشر والسوء، ولذلك جاءت آية الأعراف بالبناء للمجهول ولم يظهر الله عز وجل نفسه لأنهم في هذه الآية لا يستحقون التشريف[11].

قال في سورة البقرة *(ادخلوا هذه القرية فكلوا)58* فعملية الأكل تكون عقب الدخول لأنه كما هو معروف أن الفاء تفيد التعقيب الذي يدل على السرعة في عملية الأكل، وأما في سورة الأعراف فقال *(اسكنوا هذه القرية وكلوا)161* فعملية الأكل ستكون بعد أن يسكنوا ويستقروا وهذا بخلاف الدخول.

---

[7] 7. الأعراف، 161- 162.

[8] الإسكافي، الخطيب، *درة التنزيل وغرة التأويل*، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1973، ص 156.

[9] 26. الشعراء، 79- 80.

[10] الطبرسي، مجمع *البيان في تفسير القرآن*، كتابفروشي إسلامية، طهران، ج 1، ص 183.

[11] السيوطي، جلال الدين، *معترك الأقران في إعجاز القرآن*، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الثقافة العربية للطباعة، ص251.

فآية البقرة أوحت أن الأكل مجهز ومحضر من قبل، فبمجرد دخولهم سيجدون الطعام حاضراً ولا ينتظرون ولا يتعنون أو يتعبون[12]، وأما في آية الأعراف فجاء فعل الأكل بالواو أي أنهم سيدخلون ويسكنون ويستقرون ثم بعد ذلك سيأتي دور الطعام، وهذا من ناحية الإكرام يعد أقل تشريفاً وترحيباً، ومن هنا كان مقام آية البقرة أفضل وأكرم من مقام آية الأعراف.

قال في سورة البقرة " رغداً " ولم تأت آية الأعراف بهذه الكلمة فما هو السبب؟ كما ذكرت أن مقام آية البقرة مقام التشريف والتكريم وتعداد النعم التي حصل عليها بنو إسرائيل فناسب تعداد النعم كلمة " رغداً "، لأن الرغد في العيش هو الزيادة والفضل والرخاء، ولم تأت هذه الكلمة في آية الأعراف لأن المقام هنا مقام توبيخ وتأنيب[13]، فكأن الكلام يشير إلى أن بني إسرائيل لا يستحقون هذه النعم وغير مناسب لهم رغد العيش ولا كثرة النعم.

جاء في سورة البقرة تقديم السجود على لفظ القول أما في الأعراف فنرى العكس جاء القول أولاً ثم جاء السجود تعقيباً للقول. ولو لاحظنا سورة البقرة والآيات التي جاءت قبلها لرأينا أن الصلاة والركوع جاءا في الآية الثالثة والأربعين، ومن هنا يكون من المناسب أن يأتي السجود أولاً لتعلقه بالصلاة والركوع، وهذا ما لا نشاهده في سورة الأعراف، ومن ناحية أخرى أن السجود فيه تشريف وتكريم للإنسان بسبب قربه من الله عز وجل[14] وهذا يناسب مقام سورة البقرة.

قال في آية البقرة *(نغفر لكم خطاياكم)* وقال في آية الأعراف *(نغفر لكم خطيئاتكم)*، وكلمة خطايا جمع تكسير يفيد الكثرة أما خطيئاتكم جمع مؤنث سالم يفيد القلة[15] فما هو السر؟ لما كان مقام البقرة مقام التكريم والتشريف فناسب أن يغفر الخطايا الكثيرة إكراماً لهم، وأما آية الأعراف فالمقام مقام تقريع وتوبيخ فناسب أن يذكر الخطيئات بالقلة لأنهم لا يستحقون ذلك بسبب تكبرهم وعنادهم[16].

---

[12] الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن الزبير، *ملاك التأويل القاطع بذي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل*، تحقيق الدكتور محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1985، ج 3، ص 169.

[13] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، *فتح القدير*، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر 1349، ص 260.

[14] الزمخشري، *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، دار الكتب العربي، بيروت 1407، ص137.

[15] السيوطي، *نفسه*، ص211.

[16] الإسكافي، *نفسه*، ص 178.

جاء في سورة البقرة (*فبدل الذين ظلموا قولاً*)59، وجاء في الأعراف (*فبدل الذين ظلموا منهم*)162. مجيء لفظة " منهم " في الأعراف تأكيد وتصريح بأن الظلم وقع من بني إسرائيل وأنهم لهذا السبب يستحقون العذاب والتقريع[17]، وأما في البقرة فلم يذكر " منهم " وجعله عاماً حتى لا ينقص درجة التكريم والإنعام.

جاءت آية البقرة بالفعل " فأنزلنا " وجاءت آية الأعراف " فأرسلنا ". وحتى نعرف الفرق بين الفعلين يجب أن ننظر إلى الأصل اللغوي لهذين الفعلين، الفعل أرسل فيه معنى السرعة ويفيد التتابع مع الحركة المتواصلة[18]، وأما الفعل أنزل فلا يفيد السرعة في الإرسال، وهذا المعنى يفيد السياق ويفيد المعنى الكلي للآية، يقول فخر الدين الرازي في تفسيره " الإنزال يفيد حدوثه في أول الأمر، والإرسال يفيد تسلطه عليهم واستئصاله لهم بالكلية وذلك إنما يحدث بالآخرة ".[19] ومن هنا نفهم أن سياق الأعراف مناسب للفعل أرسل، لأنه يفيد سرعة العقوبة، أما في سورة البقرة فجاء الفعل أنزل مناسباً لسياق التكريم وتعداد النعم، وأيضاً لو نظرنا إلى السياق العام لسورة الأعراف لوجدنا أن جذر الفعل أرسل موجود أكثر من سورة البقرة، فنرى لفظ الرسول والرسالة وهما من نفس الجذر وهذا يناسب السياق الكلمي فتكون السورة متناسقة مع الجو العام للسورة.

ننتقل إلى نكتة أخرى بين هاتين الآيتين، يقول في سورة البقرة " على الذين ظلموا " 59، ويقول في الأعراف " عليهم ". والفرق بينهم أن الأولى مخصصة بالذين ظلموا ففيه تخصيص، أما لفظة " عليهم " فهي أعم وأشمل[20] لتصيب أكبر قدر من بني إسرائيل وهذا يناسب الجو العام للآية بإنزال العذاب والعقاب على أكبر عدد منهم.

انتهت الآيتان بقفلة ختامية مختلفة حيث قال في سورة البقرة " بما كانوا يفسقون " وقال في الأعراف " بما كانوا يظلمون ". والفرق يتجلى بين لفظة الظلم والفسق، فالظلم يمكن أن يكون للنفس وللآخر فصاحبه يستحق العذاب والعقاب بشدة لأن فيه ضرر للطرفين،[21] أما الفسق ففيه ظلم فقط للنفس أي أن الضرر يلحق طرفاً واحداً وهو أخف من الظلم وهذا ما ناسب الجو والسياق العام. وهكذا

---

17 الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود، *روح المعاني في تفسير القرآن الكريم*، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، ج 2، ص 218.

18 ابن منظور المصري، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، "مادة رسل"، *لسان العرب*، مصور على طبعة بولاق.

19 الرازي، فخرالدين، *التفسير الكبير*، المطبعة البهية، مصر ، ج 3، ص 213.

20 أبو حيان، *البحر المحيط*، مطبعة السعادة بمصر 1328، ج 4، ص217.

21 البيضاوي، *أنوار التنزيل*، المطبعة العثمانية، 1305، ص 243.

يكون الاختلاف بين الآيتين من قبيل البلاغة القرآنية العالية التي تنزل كل كلمة مكانها ولا يمكن أن تحل وتأخذ مكانها كلمة أخرى.

3- جاء في سورة البقرة في قصة سيدنا آدم قوله تعالى *﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة 35﴾*، وجاء في سورة الأعراف *﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة 19﴾*. الملاحظة الأولى بين الآيتين أن كلمة " رغداً " جاءت في آية البقرة ولم تأت في آية الأعراف وأن الله عز وجل نسب فعل القول لنفسه بصيغة التعظيم في آية البقرة[22] وهذا ما يناسب الإكرام والإنعام وهو الأكل رغداً ولم يسند الفعل إلى نفسه في سورة الأعراف ولذلك لم يذكر معه الإنعام والرغد في الأكل، يقول صاحب البرهان (وزاد في البقرة " رغداً " لما زاد في الخبر تعظيماً بقوله: " وقلنا " بخلاف سورة الأعراف)[23]. وأما الملاحظة الثانية فهي مجيء " وكلا " في البقرة بالواو وفي الأعراف " فكلا " بالفاء، وكما هو معروف أن الواو تفيد الجمع والاقتران، بينما تفيد الفاء التعقيب والترتيب[24]. يذكر الرازي سبب الاختلاف بين العطفين فيقول: (الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب، فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس)[25]. فالواو إذن أشمل من الفاء لأن الواو تشمل الفاء ومن هنا فإنها تحمل معنى التعقيب وهي صالحة لجميع الأزمان، ولذلك جاءت آية البقرة بالواو للدلالة على السعة في الاختيار، والسعة في ذاتها فيها نوع من التكريم والإنعام.

والفرق الثالث الملاحظ *(وكلا منها رغداً حيث شئتما)*، وقال في الأعراف *(وكلا من حيث شئتما)*. الضمير في آية البقرة يعود إلى الجنة بينما لم يأت الضمير في آية الأعراف وهذا يدل أن الجنة جاءت بلفظ مستقل ثم أعيدت بضميرها وهذا فيه نوع من السعة والتأكيد وهو ما يناسب مقام التكريم وأيضاً الظرف في آية البقرة يحمل معنى الاتساع والمساحة الأكبر من الجنة والسكن، فالظرف يحتمل الأكل والسكن، بينما لا يحتمل في آية الأعراف إلا الأكل دون السكن،[26] فتكرار فعل الأكل

---

[22] الزملكاني، *البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن*، حققه خديجه الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد 1974، ص 249.

[23] الأنصاري، ابن هشام، *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص 213.

[24] البكري، *نفسه*، ص 47.

[25] الرازي، *نفسه*، ج 6، 214.

[26] بدوي، أحمد أحمد، *من بلاغة القرآن*، مطبعة البيان العربي، 1999، ص 122.

والسكن يصلح مع آية البقرة دون أن يختل المعنى، أما في آية الأعراف لا يمكن تكرار فعل السكن مع الظرف لوجود حرف الجر " من " ففعل السكن يناسبه حرف الجر " في ".

4- قال تعالى في سورة التوبة *﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون 55﴾*، وقال تعالى في نفس السورة *﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون 85﴾*. ظاهر الآيتين يوحي بالتكرار، فالاختلاف يكاد يكون بالأحرف فقط. يقول ابن عباس ومجاهد: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى " فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، وجملة (إنما يريد الله ليعذبهم بها) جملة اعتراضية"[27] والتغاير يبدو واضحاً، ففي الآية الأولى عبر ب " فلا " وعبر في الآية الثانية ب " ولا " فالأولى جاءت بالفاء والثانية جاءت بالواو، والفاء كما هو معروف تفيد التعقيب والآية التي قبلها جاءت مبينة كراهية الإنفاق من هؤلاء فجاءت الفاء لنهيهم عن الإعجاب بكثرة الأموال والأولاد، وأما الآية الثانية جاءت بالواو لأن الآيات التي قبلها كانت بالواو(ولاتصل، ولا تقم ، ولا تعجبك)، فالعطف بالواو كان مناسباً لما قبله. أما التغاير الثاني فجاءت الآية الأولى " ولا أولادهم " وفي الثانية " وأولادهم ". مجيء " لا " يفيد النهي وهو مناسب لكثرة إعجابهم بأموالهم وأولادهم، فالنهي كان للإعجاب بكل واحد على انفراده، وبناء على ذلك يكون النهي للمجموع. وفي الآية الثانية لم تأت " لا " فكان نهياً عن إعجاب المجموع[28]، وفي نفس الوقت يتضمن الإعجاب بكل واحد على انفراد، ولذلك جاءت الآيتان متكاملتان في ذاتهما. نقطة أخرى في التغاير بين الآيتين، قال في الأولى: " ليعذبهم "، وفي الآية الثانية " أن يعذبهم "، اللام للتعليل ومفعول يريد محذوف، والتأويل إنما يريد الله ابتلاءهم بالأموال والأولاد لتعذبهم.

في الآية الأولى قال " في الحياة الدنيا " ، وفي الثانية " في الدنيا " فإثبات الحياة في الأولى كان على الأصل وحذفها من الآية الثانية كان إشارة إلى حقارة الدنيا وأنه لا يوجد في الدنيا حياة ولا راحة وأنه لا يجب أن توصف بالحياة لأن الحياة الحقيقية في الآخرة.

5- قال الله تعالى في سورة الأعراف : { قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين 111}الأعراف:111، وقال في سورة الشعراء : { قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين 36}الشعراء:36. من سياق الآيتين يتبين الفرق بينهما، فالفعل كما هو ملاحظ في سورة الأعراف جاء بصيغة " أرسل " بينما جاء الفعل في الشعراء بصيغة " ابعث " وعند التمحيص والتدقيق يتبين سبب هذا الاختلاف والبلاغة من ورائها. أولاً: الفعل " ابعث " فيه معنى الإرسال وزيادة، فالبعث في كلام

---

[27] ابن كثير، *تفسير*، طبع إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، 1984، ص 245.
[28] ابن القيم، *بدائع الفوائد*، الطباعة المنيرية، ص 83.

العرب جاء على عدة أوجه أحدها: الإرسال، ومثاله قوله تعالى في سورة الأعراف (ثم بعثنا من بعدهم موسى 103) أي أرسلنا، ومن معاني البعث عند العرب التهييج وكثيراً ما يُستخدم للقاعد والبارك فالعرب تقول " بعث البعير فانبعث " أي حل عقاله وهاج بعد أن كان جالساً. ومن معاني البعث الإنهاض والتمثيل عن قوم ما وهذا ما يؤكده قوله تعالى في سورة النحل (ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون 84)، وواضح من معنى الآية أن الفعل لا يحمل معنى الإرسال وإنما يعطي معنى الإنهاض والقيام، وهذا ما يؤكده قوله تعالى في البقرة في الآية 246 ، عندما طلب بنو إسرائيل من نبيهم أن يجعل لهم ملكاً يقاتلون تحت رايته فأجابهم الله تعالى (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً 247)البقرة، وليس المعنى أن الله تعالى أرسل طالوت إليهم وإنما المعنى أنه جعل فيهم طالوت ملكاً لأنه أصلاً كان فيهم. ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا استخدم القرآن في سورة الشعراء الفعل ابعث، لأن مقام سورة الشعراء مقام تحدٍ وشدة وقوة، فالقول صدر عن قوم فرعون فهم لم يكتفوا بالإرسال وإنما أرادوا أن يقوم واحد من المجتمع وهذا فيه معنى التهييج وإثارة الناس على سيدنا موسى، وهذا كان مقصدهم الحقيقي، فالفعل" أرسل " يؤدي الغرض لكن بمعنى أقل من الفعل " بعث "، فالموقف لما اشتد على قوم فرعون جاء الفعل " أرسل " ليُظهر شدة ما يعتلج في نفوسهم من الحقد والكره لسيدنا موسى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن معنى الإرسال ورد وجاء في سورة الأعراف ثلاثين مرة، بينما ورد في سورة الشعراء سبع عشرة مرة ، ومن هنا أيضاً ندرك أهمية السياق في ذلك.

6- قال تعالى في سورة الأنعام: { فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون 5 } ، وقال في سورة الشعراء { فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون 6 }. فنلاحظ كيف ذكر (سوف) في الأنعام، بينما جاءت السين في آية الشعراء، واختلاف آخر أنه ذكر لفظ " الحق " في آية الأنعام ولم تذكر هذه اللفظة في آية الشعراء. من الملاحظ في سورة الأنعام أن لفظ الحق تكرر كثيراً، فقد جاء هذا اللفظ في مواضع كثيرة من هذه السورة، بينما لم تذكر هذه اللفظة في سورة الشعراء، فناسب أن تأتي في آية الأنعام لأن السياق التعبيري يقتضي ذلك، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن آية الأنعام جاءت مع " سوف " وكما هو معروف أن "سوف " في اللغة العربية تفيد البعد في المستقبل، فأفادت تأخير الجزاء والعقوبة إلى زمن أبعد مما هو عليه في الشعراء المقترنة بحرف السين الذي يفيد القرب في المستقبل.

الخاتمة

لابد لي من ذكر بعض النتائج التي توصل إليها هذا البحث:

1. كثر الحديث عن المتشابه وكان موضع نقاش وجدل بين علماء اللغة من جهة وبعض المستشرقين الذين يحاولون إنكار بلاغة القرآن وإعجازه من جهة أخرى، وهذا في الحقيقة ناتج عن القصور اللغوي والفهم الخاطىء.
2. لو كان التكرار حاصلاً في آيات القرآن لانتفت بلاغة القرآن وزالت خصائصه الأسلوبية والبلاغية.
3. إن المشتغلين في بحث آيات القرآن المتشابهة لا بد لهم أولاً وقبل كل شيء أن يكونوا عالمين بالعربية علماً واسعاً ولا يكفي معرفة النحو والصرف ولكن لا بد من التعمق في بلاغة العربية.
4. بعد معرفة البلاغة العربية لابد للمشتغل في المتشابهات أن يستحضر المناهج النقدية الحديثة التي أشارت بعضها إلى أهمية السياق وأن الدراسات الحديثة تسلط الضوء على السياق بفروعه المختلفة.
5. النص القرآني هو نص متحرك وذو دلالات واسعة ولذلك تأتي أهمية دراسة علم النص من هذه الزاوية وأنه لابد للباحثين من معرفة أساسيات علم النص التي تؤهلهم للبحث في نص القرآن.
6. تشابه الآيات يبدو للوهلة الأولى تشابه لفظي ولكن عند التمحيص والنظر نجد أن هذا التشابه نقطة بداية لدراسة الأسلوب والسياق إلى أن نصل إلى فهم الخصائص البلاغية للآية.

المصادر والمراجع

ابن كثير، *تفسير*، طبع إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، 1984.

ابن منظور المصري، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، *لسان العرب*، مصور على طبعة بولاق.

أبو حيان، *البحر المحيط*، مطبعة السعادة بمصر 1328.

الإسكافي، الخطيب، *درة االتنزيل وغرة التأويل*، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1973.

الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود، *روح المعاني في تفسير القرآن الكريم*، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي.

الأنصاري، ابن هشام، *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

بدوي، أحمد أحمد، *من بلاغة القرآن*، مطبعة البيان العربي، 1999.

بكري شيخ أمين، *التعبير الفني في القرآن*، دار الشروق، 1973.

البكري، محمد تاج الدين أبي الحسن، *تسهيل السبيل في فهم معاني التنزيل*، مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد 1991.

البيضاوي، *أنوار التنزيل*، المطبعة العثمانية، 1305.

الجوزية، ابن القيم، *التفسير القيم*، جمع محمد أويس الندوي، مطبعة السنة المحمدية، 1973.

_____، *بدائع الفوائد*، الطباعة المنيرية.

الرازي، فخرالدين، *التفسير الكبير*، المطبعة البهية، مصر.

السيوطي، جلال الدين، *معترك الأقران في إعجاز القرآن*، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الثقافة العربية للطباعة.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، *فتح القدير*، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر 1349.

الطبرسي، *مجمع البيان في تفسير القرآن*، كتابفروشي إسلامية، طهران.

الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن الزبير، *ملاك التأويل القاطع بذي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل*، تحقيق الدكتور محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1985.

الكرماني، محمد بن حمزة، *البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان*، حققها الطالب ناصر بن سليمان العمر، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1999.

الزمخشري، *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، دار الكتب العربي، بيروت 1407.

الزملكاني، *البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن*، حققه خديجه الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد 1974.

Kaynakça

İbn Kesîr, *Tefsir*, Matba'atü Îsâ el-Bâbî el-Halebî, 1984.

İbn Manzûr, *Lisânü'l-Arab*, Matba'atu Bulak, Mısır. (trs.)

Ebû Hayyân, *el-Bahru'l-Muhît*, Matbaatü's-Sa'âde, Mısır 1328.

El-İskâfî, el-Hatîb, *Dürretü't-Tenzîl ve-Gurretü't-Te'vîl*, Menşûrâtu Dâri'l-Âfâki'l-Cedîde, Beyrut 1973.

El-Âlûsî, Şehâbeddin Seyyid Mahmud, *Rûhu'l-Me'ânî fî Tefsîri'l-Kur'âni'l-Kerîm*, Dâru İhyâ'i't-Turâsi'l-Arabî. (trs.)

El-Ensârî, İbn Hişâm, *Mugni'l-Lebîb an-Kütübi'l-E'ârîb*, thk. Muhammed Muhyiddin Abdulhamid. (trs.)

Bedevî, Ahmed Ahmed, *Min-Belâgati'l-Kur'ân*, Matba'atü'l-Beyani'l-Arabî, 1999.

Bekrî Şeyh Emîn, *et-Ta'bîrü'l-Fennî fî'l-Kur'ân*, Dârü'ş-Şürûk, 1973.

Bekrî, Ebü'l-Hasan Tâceddin Muhammed, *Teshîlü's-Sebîl fî Fehmi Me'âni't-Tenzîl*, Bağdat Vakıflar Kütüphanesi Yazmaları. 1991.

El-Beydâvî, *Envârü't-Tenzîl*, el-Matbaatu'l-Osmâniyye, 1305.

El-Cevziyye, İbn el-Kayyım, *et-Tefsîrü'l-Kayyım*, haz. Muhammed Üveys en-Nedvî, Matba'atü's-Sünneti'l-Muhammediyye, 1973.

_____, İbn el-Kayyım, *Bedâ'i'ü'l-Fevâ'id*, et-Tıbâ'atü'l-Münîriyye. (trs.)

Er-Râzî, Fahreddin, *et-Tefsîrü'l-Kebîr*, el-Matba'atü'l-Behiyye, Mısır. (trs.)

Es-Süyûtî, *Celâleddin, Mu'terekü'l-Akrân fî İ'câzi'l-Kur'ân*, thk. Muhammed Ali el-Bicâvî. Dâr es-Sekâfe el-Arabiyye li't-Tıbâ'a. (trs.)

Eş-Şevkânî, Muhammed b. Ali b. Muhammed b. Abdullah, *Fethü'l-Kadîr*, Matba'atü Mustafa el-Bâbî el-Halebî ve Evlâdih, Mısır 1349.

Et-Tıbrisî, *Mecma'u'l-Beyân fî Tefsîri'l-Kur'ân*, Kitâb-fürûşî İslâmiyye, Tahran. (trs.)

El-Gırnâtî, Ebû Ca'fer Ahmed b. ez-Zübeyr, *Melâkü't-Te'vîl*, thk. Mahmud Kâmil Ahmed, Dârü'n-Nahdati'l-Arabiyye li't-Tıbâ'a ve'n-Neşr, Beyrut 1985.

El-Kirmânî, Muhammed b. Hamza, *el-Burhân fî Müteşâbihi'l-Kur'ân limâ fîhi mine'l-Hüceti ve'l-Beyân*, thk. Nâsır b. Süleyman el-Ömer, Yüksek Lisans Tezi, İmâm Muhammed b. Suûd Üniversitesi. 1999.

Ez-Zemahşerî, el-*Keşşâf an-Hakâ'iki't-Tenzîl ve-Uyûnu'l-Ekâvîl fî Vücûhi't-Te'vîl*, Dârü'l-Kütübi'l-Arabî, Beyrut 1407.

Ez-Zemilkânî, *el-Burhânü'l-Kâşif an-İ'câzi'l-Kur'ân*, thk. Hatice el-Hadîsî ve Ahmed Matlûb, Matba'atü'l-Ânî, Bağdat 1974.